

الحلقة الرابعة والثمانون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

صديقي المستمع، هل يجوز أن يمتدح الإنسان نفسه؟ وكيف تتصور وقع هذا المديح على الآخرين؟ وعندما تقابل شخصاً يمتدح نفسه ماذا يكون رد فعلك؟ هل تصدق كلامه وتثق به؟ إن الناس عادة لا يتقون بالشخص الذي يمتدح نفسه ويحاول أن يفرض ذاته على الآخرين. هل تعلم مستمعي أن هذه دائماً كانت نظرة المجتمع إلى الناس الذين يمتدحون أنفسهم حتى في أيام المخلص المسيح؟ وقد حاول اليهود أن يلصقوا بالمسيح تهمة: أنه يدعي لنفسه ما لا يحق له. ولهذا اضطر المسيح أن يجيبهم موضحاً الحقيقة وبشكل جلي وواضح.

قال المخلص المسيح لليهود: «إِنْ كُنْتُ أَشْهَدُ لِنَفْسِي فَشَهَادَتِي لَيْسَتْ حَقًّا. الَّذِي يَشْهَدُ لِي هُوَ آخَرٌ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ شَهَادَتَهُ الَّتِي يَشْهَدُهَا لِي هِيَ حَقٌّ. أَنْتُمْ أُرْسَلْتُمْ إِلَى يَوْحَنَّا فَشْهَدَ لِلْحَقِّ. وَأَنَا لَا أَقْبَلُ شَهَادَةً مِنْ إِنْسَانٍ، وَلَكِنِّي أَقُولُ هَذَا لِتَخْلُصُوا أَنْتُمْ. كَانَ هُوَ السَّرَاجَ الْمَوْقَدَ الْمُنِيرَ، وَأَنْتُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْتَهَجُوا بِنُورِهِ سَاعَةً. وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يَوْحَنَّا، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ لِأَكْمَلِهَا، هَذِهِ الْأَعْمَالُ بَعِيْنَهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْآبَ قَدْ أُرْسَلَنِي. وَالْآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أُرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي. لَمْ تَسْمَعُوا صَوْتَهُ قَطُّ، وَلَا أَبْصَرْتُمْ هَيْئَتَهُ، وَلَيْسَتْ لَكُمْ كَلِمَتُهُ ثَابِتَةً فِيكُمْ، لِأَنَّ الَّذِي أُرْسَلَهُ هُوَ لَسْتُمْ أَنْتُمْ تُوْمِنُونَ بِهِ. فَتَشَّوْا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي. وَلَا تَرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةً» (بشارة يوحنا: ٣١-٤٠).

سنأمل الآن بتصريح المسيح الهام هذا فابقوا معنا.

صديقي المستمع، لقد أكد المسيح لليهود في البداية أنه إن كان يشهد لنفسه فشهادته ليست حقاً. لأن شهادته عن نفسه لن تكون مقبولة. ثم أشار إلى شهادة شخص آخر شهد عنه وهو النبي يحيى أي يوحنا المعمدان. وكان اليهود ينظرون إليه كنبي ويتقون به. ولهذا قال أن شهادته عنه هي حق. ومع أن المسيح لا يقبل شهادة من إنسان إذ هو كلمة الله الأزلي، لكنه مع ذلك كما قال، قبل

بشهادة يوحنا المعمدان لكي يُقنع اليهود بأنه هو المسيح المخلص الملك الذي كانوا ينتظرونه. وقال أن يوحنا المعمدان كان هو السراج الموقد المنير الذي ابتهج اليهود بنوره لساعة واحدة، أي لفترة قصيرة من الزمن.

وبالفعل لقد شهد يوحنا المعمدان عن المسيح عندما ذهب الفريسيون إليه ليسألونه إن كان هو المسيح أم أحد الأنبياء، فأجابهم: «أنا صوتُ صَارِحٍ فِي الْبَرِيَّةِ: قَوْمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، كَمَا قَالَ إِشْعِيَاءُ النَّبِيُّ». ثم أعلن لهم أنه إنما يمهد الطريق لمن سيأتي بعده أي للمسيح. وعندما رأى يوحنا المعمدان المسيح مقبلاً إليه هتف قائلاً: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ! هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: يَأْتِي بَعْدِي، رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي، لِأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي.. وَشَهِدَ يُوْحَنَّا قَائِلاً: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ، لَكِنَّ الَّذِي أُرْسَلَنِي لِأَعْمَدَ بِالْمَاءِ، ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقَرًّا عَلَيْهِ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُّوسِ. وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ» (بشارة يوحنا: ١: ٢٣، ٢٩-٣٠، ٣٢-٣٤).

أجل، لقد شهد النبي يحيى عن المسيح شهادة صحيحة، وأكد لليهود أن المسيح هو الذي سيأتي بعده بالرغم من أنه كان قبله، وأعظم منه. وأن الله نفسه قد أعطاه علامة أن الذي ترى الروح نازلاً عليه مثل حمامة من السماء، يكون هو حقاً المسيح الذي يعمد الناس بالروح القدس. وهذا الذي حصل بالضبط. وتخبرنا البشائر الأخرى أنه عند المعمودية المسيح كان صوت من السموات قائلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِّرْتُ» (بشارة متى ٣: ١٧). أي أن الله الأب قد شهد أيضاً عن المسيح أنه هو ابنه الحبيب. أي ابنه بالمعنى المجازي الروحي وليس الحرفي. وكان هذا تأكيداً ليوحنا المعمدان عن حقيقة شخصية المسيح.

مستمعي الكريم، ثم انتقل المسيح في كلامه مع اليهود للحديث عن شاهد هام آخر يشهد له غير يوحنا المعمدان. وذلك عندما قال: «وَأَمَّا أَنَا فَلِي شَهَادَةٌ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا، لِأَنَّ الْأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الْآبُ لِأَكْمَلِهَا، هَذِهِ الْأَعْمَالُ بَعِيْنَهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الْآبَ قَدْ أُرْسَلَنِي». أجل، إن العجائب الباهرة التي كان المسيح يقوم بها تشهد وتؤكد أنه هو المسيح المخلص العالم الذي أرسله الله الأب. فمن غير المعقول أن يقوم أحدهم بكل هذه العجائب من نفسه، إن لم يكن مُرسل من قبل الله. وهنا أكد المسيح لليهود أن الله الأب نفسه يشهد له أيضاً، بالرغم من أنهم لم يسمعوا صوته ولا أبصروا هيئته.

ولقد شهد له الله الأب من خلال كلمته التي أعلنها لهم في كتب العهد القديم، التوراة والمزامير والأنبياء. لأنهم لو صدقوا كلمته لآمنوا به، أي لآمنوا بالمسيح المخلص. ولهذا قال لهم: «فَتَشَوْا الْكُتُبَ لِأَنَّكُمْ تَنْظُنُونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً. وَهِيَ الَّتِي تَشْهَدُ لِي.

وَلَا تُرِيدُونَ أَنْ تَأْتُوا إِلَيَّ لِتَكُونَ لَكُمْ حَيَاةً». لقد دعا المسيح اليهود لكي يفتشوا الكتب، أي لكي يبحثوا في كتب العهد القديم من الكتاب المقدس. وأبلغهم أنهم يتوهمون إن كانوا يظنون أنهم سيجدون في هذه الأسفار الحياة الأبدية، أي الطريق المؤدي إلى الحياة. لكن الحقيقة أن هذه الكتب جميعاً تشهد له أي للمسيح المخلص الملك. فهم لو أرادوا أن يعرفوا حقيقة شخصيته الإلهية، لوجدوها في أسفار العهد القديم، التي تشهد له. لأن كل ما دوّن في التوراة يشير ويرمز إلى المسيح المخلص، ولقد تنبأ الأنبياء عنه وعن مجيئه لخلاص بني البشر. ولهذا قال عنه النبي يحيى: «هُودَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ!» وبين لهم المسيح أنهم لا يريدون أن يأتوا إليه يؤمنوا به لتكون لهم حياة.

وماذا عنك مستمعي؟ ألم تقتنع بكل هذه الشهادات الحيّة عن المسيح المخلص؟ ألا تود أن تأتي إليه وتؤمن به؟ وهو حمل الله الذي قدّم نفسه ذبيحة على الصليب للتكفير عن خطاياك. وهكذا تحصل على الغفران الكامل من خطاياك، وتصبح من أولاد الله وتحظى بالحياة الأبدية.